٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٨٠٥

٨٠٥
جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
شعبة الأدب والنقد
السنة الثانية

١٠٠٢٧٩١

بحث عن

الاجتماعيات فى شعر حافظ ابراهيم

تحت اشراف
الدكتور/ أحمد الشرباصى

مقدمه : الطالب / طلعت صبح السيد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد كل الحمد لله تبارك وتعالى ، وأشهد أن لا اله الا الله هو ولى النعمه ومصدر الرحمه ، " ان رحمة الله قريب من المحسنين " وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، هو نبى المرحمه وقائد الملحمه : " وما أرسلناك الا رحمه للعالمين " .

وأصلى وأسلم على جميع أنبياء الله ورسله ، وعلى خاتمهم سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه وأحبابه ، ومن دعا بدعوته باحسان الى يوم الدين .

وأستفتح بالذى هو خير : " ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا ، واليك المصير " .

اهداء

الى الاستاذ العظيم والعالم الجليل

الدكتور/ أحمد الشرباصى - أتقدم

بهذا البحث وأرجو الله

أن يلقى القبول منه .. ..

مقدمة

من أهم مظاهر النهضة المظهر الإجتماعى ، فالشعب هو المعين الذى يزود الأمة بشعرائها المجيدين ورجالها الحاكمين ، وزعمائها المصلحين ، وهو ثروة معنوية عظيمة ، وكنز ثمين .

ولقد تغيرت فى القرن التاسع عشر عقلية الشعوب ، ولم تعد ترضى الحكم المطلق ، ولا أن تسام الخسف والهوان على يد حاكم مستبد . ولقد تأثرت مصر بهذه النزعة فأسهم شعراؤها وأدباؤها فى الحث على ذلك .

والأدب الحى النامى هو الأدب الذى يعبر عن روح الحياة فى عصره ، وينقل صورة لما عليه أهله من إحساس ومشاعر ، وتفكير ، أو هو الذى يلبى احتياجات عصره على حسب مفهوم أهل ذلك العصر لرسالة الأدب .

والأدب الميت الجامد المتخلف هو التعبير الغريب عن عصره ، الذى لا يستطيع أن يمازج أهله ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم ، وآمالهم وغاياتهم ، أو هو الذى يقصر عن متطلبات عصره على حسب مفهوم أهل ذلك العصر لرسالة الأدب .

وكان حافظ شاعرا قريبا من الشعب يصور أحداث مجتمعه تصويرا صادقا فى شعره فشعره ملىء بالاحداث السياسية والوطنية والإجتماعية . وقد أجاد حافظ فى فن الرثاء واستطاع أن ينقله من مسألة فردية الى مسألة اجتماعية ، فموت الاستاذ الشيخ / محمد عبده نكبة على مصر وعلى العالم وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة فهو يتسلل فى حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد الى المسائل الاجتماعية . ويقول فى سهولة ويسر ما برع فيه وفاق أقرانه .

وكان فى شعره يقف موقف الصحافة الوطنية والخطباء الوطنيين وقادة الرأى الاجتماعيين يغشى مجالس هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا قويا ملتهبا يفعل فى النفوس ـ وذلك شأن الشعر الحى ـ ما لا تفعله الخطب والمقالات فكان بحق شاعر الاجتماع لم يجاره أحد فى ذلك كله من شعراء عصره :

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية ، فان فشل في حرب السيف فليحارب بالقلم ، وان أخطأ في ثورة الضباط في السودان ، فليكتب له التوفيق في اثارة الامة على الاحتلال . ومن هنا ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولا ، وآمال الشعب العربي ثانيا .

كانت الامة تشكو من فوضى الاخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من تضييق الغني على الشق ، وكان حافظ بما له من حس مرهف وعاطفة حساسة - يجمع كل ذلك في نفسه ، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه ، بنى على أنقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ، حتى أثر في شعبه وأصبح مرآته التي يرى الشعب فيها .

وصدق القائل :

" الشعر من أفعل المؤثرات في ايقاظ الامم من سباتها وبث روح الحياة فيها " (١)

من أجل ذلك أردنا أن نبين للشاعر العظيم حقه والميزة الكبرى التي اختص بها دون أبناء عصره من الأدباء ..

والآن أحب أن أبين نصيب شاعرنا حافظ في هذا الجهاد ، وهل أفلح في تأدية ضريبته على أكمل وجه أم لا .

وقد سرت في بحثي معتمدا على مراجع تتصل بصميم الموضوع اتصالا مباشرا ككتاب حافظ ابراهيم شاعر النيل وكتاب حافظ ابراهيم ما لهوما عليه ، وقد جرني البحث الى مراجع أخرى اما للبيان أو للاستدلال .

وأرجو الله أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة .

والله الموفق ... .

---

(١) سلاح الشعر للدكتور أحمد الشرباصي .

(حافظ ابراهيم)

١٨٧٠ ـــ ١٩٣٢م

حياته :

كان أبوه يقيم في " ديروط " حيث كان يعمل والده ابراهيم فهمي سنة ١٨٧٠ وقد اختار لسكناه سفينة ذهبية وهناك ولد لهما حافظ ففرح به والده وعاشا سعيدين الا أن الدهر لم يلبث أن قلب لهما ظهر المجن فاذا الاب يموت وحافظ مازال في السنة الرابعه .

ثم أنتقلت به أمه الى القاهره حيث كفله خاله وكان مهندس تنظيم وقام على تربيته وألحقه أولا بالكتاب ثم تحول به الى مدارس مختلفه كان آخرها المدرسه الخديوية وتصادف أن نقل خاله الى بلدة طنطا فصحبه معه . ثم أخذ يختلف الى الجامع الاحمدى وكانت تلقى فيه دروس على نمط ما يلقى في الازهر وحافظ لم يكن ينتظم في هذه الدروس .

ولكن أخذت براعم الشعر تنمو فيه فأخذ يطارح بعض الطلاب وعزم على أن يكسب قوته بيده بعد أن شعر بأن خاله بدأ يمله ويستقل المقام معه فقال في ذلك .

ثقلت عليك مئونتي .. أني أراها واهية
فافرح فأني ذاهب .. متوجه في داهية

ثم التحق بمكاتب بعض المحامين الا أن القلق عاوده وفجأة ارتحل الى القاهرة ليلتحق بالمدرسه الحربيه وينتظم بين طلابها ويتخرج منها سنة ١٨٩١ ويعين في وزارة الحربيه ويظل بها ثلاث سنوات ثم ينتقل الى وزارة الداخليه ثم يعود ويرى الى مرافقة الحمله الاخيره الى السودان فيرافقها على مضض ولا يكاد يضع قدمه حتى يتبرم ويضج بالشكوى مما به ويراسل الشيخ محمد عبده معلنا تبرمه وسخطه .

عوامل التغيير فى عهد حافظ ابراهيم

نستطيع أن نتصور ما واجه العقل والشعور العربى فى ذلك الطور من مغيرات ومؤثرات كما نستطيع أن نقدر هدى ذلك التغيير والتأثير الذى أصاب العقل والشعور العربى فى تلك المرحله من الزمان . وبالتالى نستطيع أن نتعرف ـ من خلال ذلك ـ على المسيره الجديده التى سلكها الانسان العربى الجديد فى ميدان الادب والفن .

اذ الانسان أبن بيئة تشده اليها وشائج القربى ، فهى تؤثر فيه ، وهو يؤثر فيها ، ولا يكاد ينفصل عنها فى تصوره وفكره وحسه وتعبيره عن كل ذلك .

فاذا أعدنا النظر فى الاحداث التى عرضت لابناء أمتنا فى هذا الطور واستخلصنا منها عوامل التغيير من نمو الرأى العام والنزعه القوميه نجد أن الحمله الفرنسيه نبهت الاذهان وأثارت الحميه الى رفض الاستسلام أمام قوة أوربيه أجنبيه ، ثم قوى الشعور القومى بعد طرد الحمله الفرنسيه ، وتزايد هذا الشعور حين اضطر الشعب الى مواجهة الانجليز ، وحين اضطر الى مواجهة الحكام .

ولما وقعت حادثه دنشواى ، وكشف الانجليز فيها عما يمكن أن يفعلوه فى أى مناسبه ، زاد الترابط الشعبى ، وشهر كل فرد من الامة ما يستطيعه من سلاح فى وجه هؤلاء الطغاه .

ولما قام مصطفى كامل بثورته الوطنيه ، وتحرك فى كل ميدان يرى فيه بصيصا من أمل ، أعطى النزعه القوميه من روحه وغذاها من قلمه .

وهكذا ظلت الحوادث المتواليه تمد بذرة القوميه بأسباب النماء ، فتقوى جذورها فى النفوس ، وتمتد أغصانها فينانة الظلال ، ناضجة الثمار ، شهية الجنى .

لذا قال العقاد : "معرفه البيئه ضروريه فى نقد كل شعر فى كل أمه ، ولكنها ألزم فى مصر على التخصيص (١)
ومع كل هذه الاحداث كان حافظ من حزب التمرد والثوره لا من حزب التسليم والاستكانه .

وكانت مشاركة حافظ فى الثورة العرابيه مشاركة الشاعر الذى يصف شعور الجمهور أو يذكيه بقصائد ، وأناشيده لانه عاش فى غمرة الاحداث بين دوافع المد والجزر وعوامل الشده والرخاء .

فحافظ يمثل أمته فى قصائده الاجتماعيه ، فلقد حمل بين طيات شعره أثرا من كل طريق سلكته بلاده أثناء حياته فكان أقرب الى تمثيلها من جميع زملائه .

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد

وما ذلك الا لأن أسباب عيشه وملابسات أيامه كانت أدعى الى توجيهه هذه الوجهه وأدنى الى اقامته فى هذا المقام .

وسر ذلك أن شاعر النيل قاسى فى فجر حياته ضروبا مختلفه من الحرمان وألوانا شتى من البؤس والمتربه .

هذا الى ماوقر فى أذهاننا من أنه كان لسان صدق للشعب ، يعبر عن آلامه وآماله ، ويرسم له سبيل الوصول الى حياة حرة كريمة .

من أجل ذلك كنا نشعر بأن حافظا قريب الى نفوسنا محبب الى قلوبنا ، نجد فى قراءه شعره مايلذ عقولنا ويقرى نفوسنا أنسا وأمتاعا .

وزادنا اقبالا على شعره ماكنا نحسه فيه من ديباجة مونقة وعوز قريب لا يكد الذهن ولا يعنى الفكر . وبع أن الدم التركى كان يجرى فى عروقه كالدم المصرى فلم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب ولم يشد بذكر الاتراك اشاده (شوقى) بهم .

يعلل ذلك الاستاذ أحمد أمين قائلا :

"لان ماكان فى (شوقى) دم تركى ارستقراطى ، وما فى حافظ دم تركى ديمقراطى ولأن تركيه شوقى غذتها بيئه القصور التى ولد ببابها ، وعاش فى أكنافها ، وتنفس فى جوها وتركية حافظ غلبتها حياته البائسه ، وعيشه فى أوساط الجماهير ، واندماجه فى غمار الناس ، يعيش عيشتهم ويحيا حياتهم ، فماتت عصبيته التركيه الا نادرا ، فكان اذا شعر فى ذلك لم تر عصبية جنسية ، انما هى عصبية دينية ووطنية ، فهو يفخر بنصرة الترك ، لأنها نصرة للاسلام ، ويخشى على الخلافة لأن فى ضعفها ضعفا للدين ، وفى النيل منها نيلا من وطنه " (١) .

---

(١) مقدمه ديوان حافظ لاحمد أمين

ثورته على الشعر القديم

قامت فى مصر حركة من بعض الادباء المثقفين ثقافة غربيه وبعض قادة الرأى تعيب على الشعراء هذا الشعر التقليدى فى أسلوبه وفى أغراضه ، وفى أوزانه وقوافيه وتنقد شوقى وحافظا مر النقد لأنهما قديمان فى أفكارهما ، مقلدان فى أغراضهما محافظان فى أوزانهما .

كان من آثار هذه الحركه فى حافظ أن ثار هو أيضا على الشعر القديم ، فقال قصيدته المشهوره فى الشعر التى مطلعها .

ضعت بين النهى وبين الخيال .. ياحكيم النفوس يابن المعالى

عاب فيها على الشعراء وخاصة شعراء الشرق شعرهم فى الكأس و الطاس ، والمدح والهجاء والرثاء ، وحب سلمى وليلى ومكان الاثار والاطلال .

ثم يقول :

آن ياشعر أن نفك قيودا .. قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا .. ودعونا نشم ريح الشمال

ومع أنه ثار ثورة صارخه على الشعر القديم ونظم فى موضوعاته التى تلائم عصره فلم يجدد فى بحوره وأوزانه ، ولم يجدد فى أسلوبه وبيانه ولا تفكيره وخياله ، أنما جدد فى شيئ هو فوق ذلك كله ، جدد فى موضوعاته وأغراضه ، فبدلا من أن ينظم فى موضوعات السابقين كجرير والفرزدق وبشار نظم فى موضوعات عصره وأمانى قومه .

ثم أنه بعد هذه الثوره على الشعر القديم نظم فى موضوعاته ، ولكنه حتى فى هذا لا ينسى مقامه ولا يجهل رسالته ولا يفوته غرضه فهو ينتهز فرصه تحية العام الجديد ، وتحيه المليك ، ورثاء الفقيد ، وتهانى العيد ، ليبث فى ذلك كله عاطفته الوطنيه ، ونظراته الاجتماعيه ، والاخلاقيه ، وليبشر وينذر ، ويرغب ويرهب ، فهو مجدد من هذه الناحيه فى موضوعاته الجديده وموضوعاته القديمه .

عاطفته

مضى حافظ يرسم لنا في شعره معالم الطريق ، ويستن للعروبه خير السنن فعاطفته المشبوبه ، صادقه الحس ، أمينه التعبير ، وذوقه من الدقه بحيث يلتقي مع الفطر السليمه من نفوس قرائه ومواطنيه ، يأخذهم العجب ببراعته والتقدير لفنه ، والتحليق بمذهبه . ا

أنها عاطفة قويه صهرتها الاحداث وحنكتها التجارب واعتورتها السنون . ولقد كان صاحبنا ينفس عن نفسه بروح الدعابه والفكاهه في مجالسه وسمره بين ندمائه فاذا ما تحمس لتسجيل حادثه أهتذت لها جوانب نفسه ، وجاء بالسحر الحلال من القول ، وبالمثل الشرود من المعاني ، ونفض عن نفسه تلك السخريه اللاذعه الى حيث الجد الصراح .

أن عروبته الخالصه ومصريته الصريحه ، وقوميته العتيده لم تكن جميعا لتدع له في مجال الجد بقيه من عتب أولهو ، ومن هنا كان حافظ شاعرا لمجتمع .

يريد منا أن نتبوأ مقعدنا بين الامم ، وان نرفع عنا نير الاحتلال ، وان يتعادل الشرق مع الغرب ، وان تكون حياتنا الاجتماعيه خيرا مما هي فلا تواكل ، ولا استنامه ولا خنوع .

ونحو ذلك من وجوه الاصلاح .

(الادب والحياة الاجتماعية)

من القضايا التى يثيرها النقاد كثيرا قضية الادب والحياة الاجتماعية ، فهل يحسن بالاديب أن يوجه أدبه نحو الوفاء بقيم مجتمعه التى تدفعه الى الامام أو أن يوجهه نحو القيم الذاتية وما يطوى فيها من اتقان التصوير وروعة التعبير ؟

والذى لا شك فيه أن الاديب لا يكتب أدبه لنفسه ، وانما يكتبه لمجتمعه لسبب بسيط وهو أنه اجتماعى بطبعه ، ومن ثم كانت مطالبته أن يكون اجتماعيا فى أدبه مطالبة طبيعية ، أما أن يتخلى عن مجتمعه فان ذلك يعد شذوذا وانحرافا وانسياقا نحو ضرب من الانعزال من شأنه أن يفت فى عضد المجتمع .

ولا يوجد الادباء فى الامة عبثا ، فهم لها هداة الطريق ، وهم مرآتها الصافية النقية التى ينبغى أن تصور آمالها وآلامها ومواقفها وكل ما حلمت به فى الماضى وتحلم به فى الحاضر . والاديب من أمته ، ولها يذيع أفكارها ومشاعرها وكل ما هزها وأثر فيها من أحداث ظاهرة أو باطنة مستترة .

واذا تفاعل الاديب مع مجموع أمته الذى ينبثق من مجموع الانسانية الكلى كان أدبه تصورا اجتماعيا من ناحية وتصورا انسانيا من ناحية ثانية .

وحقا ان الاديب مهما بدى فى أدبه منفصلا عن مجتمعه فانه يتصل به وبقيمه لسبب بسيط وهو أنه نتيجة الوراثة والوسط .

واذا رجعنا الى أدبنا العربى — مع ما رسف فيه من أغلال وقيود — وجدناه مع هذا كله يرتبط بمجتمعاته الماضية والحياة التى عاشتها هذه المجتمعات من بدوية وحضرية .

ففى العصر الجاهلى : كان الشعر كله يصور حياة الجاهليين البدو الرعاة تصويرا دقيقا ، يصور عاداتهم وبيئتهم ، كما يصور رحيلهم الدائم فى الصحراء على نحو ما هو معروف فى مقدمة الاطلال والالمام بالديار . ومعنى ذلك أن الشعر الجاهلى يصور الظروف المادية والاجتماعية التى عاش فيها الجاهليون .

وفي العصر الاسلامي : لم ينسحب ولم يهرب الشعر من الحياة مع تمسكه الشديد بالتقاليد ، بل كان الشاعر يرى من واجبه أن يشارك في أحداث مجتمعه وعلى كل حال كان يخضع لمجتمعه ، ولم يتحرر من أحداثه .

وفي العصر العباسي : من غير شك تطغى على الشاعر عناصر فردية كثيرة ولكنها لا تستقل عن عناصر الجماعة ، بل يتصل بعضها ببعض ، وهكذا فلم يكن أدباؤنا من شعراء وكتاب في العصور الغابرة معصوبي الاعين عن الحياة الجارية في أزمانهم .

ولما كان العصر الحديث : أخذ الادباء يثوبون الى أنفسهم ، بل قد أخذوا يستكشفونها من جديد استكشافا . وبذلك انبثق في شعرنا لونان جديدان ، هما الشعر السياسي الوطني والشعر الاجتماعي على نحو ما هو معروف عند حافظ وشوقي وأضرابهما . وظهر جيل جديد من الشباب في أول هذا القرن يستشعر في أعماقه نكبة الاحتلال وما يذيق المصريين من ظلم وعذاب .

ومعنى ذلك أن أدبنا - رغم بروز العناصر التقليدية فيه - لم ينفصل عن حياتنا جملة في القديم والحديث ، وأن كثيرا من الادباء كانوا يعدون أنفسهم مسئولين أمام الضمير الشعبي ، فهم يصدرون عنه فيما ينظمون ويكتبون ، فليس هناك أديب في عصرنا لبلد عربي يعتزل حياة أهله فيعيش وراء قضبان الحياة الفردية الذاتية الخالصة .

وليس معنى ذلك أن الاديب ينبغي أن لا يصور نفسه وانما معناه أنه ينبغي اذا صور نفسه صور من خلالها مجتمعه فهو لا يحلق بعيدا عنه بل يمتزج به بحيث تصبح نفسه صورة لافراده ، ويصبح وحدة حية من وحداته ، وبذلك تلتئم في تصويره لنفسه أحاسيسه الذاتية وأحاسيس مجتمعه الموضوعية .

(البـاب الأول)

الاجتماعيات فى شعر حافظ ابراهيم

الفصل الأول

المشاكل الاجتماعية المنتشرة فى مصر قبل الاحتلال وأثنائه

الى جانب المسائل الاجتماعية المتصلة بسياسة البلاد ، كانت هناك مشاكل اجتماعية منتشرة فى مصر قبل الاحتلال وأثنائه ، ولا يزال بعضها يجد مكانة بين ظهرانينا مما سبب تخلف مصر عن ركب المدنية وكانت هذه العيوب سببا فى أن يرمينا المتعصبون من أهل الغرب وأشياعهم من الشرقيين بالتأخر والتخلف . واتهموا الدين الاسلامى أنه بتعاليمه سبب تخلف الشرقيين وأنه يحد من تقدمهم الحضارى ، ويقف بهم عن مواكبة المدنية والسير فى ركابها ، والمتصفح لقصائد حافظ ابراهيم التى مدح بها محمد عبده أو رثاه يجد أراءه فى هذه المسائل التى تتصل بالدين والمجتمع . فحافظ يشيد بالامام الذى وقف فى وجه المتحاملين على الاسلام ، ويشيد بردوده عليهم وافحامهم بالحجة والدليل القاطع موضحا أن سر التأخر فى الشرق لا يعود الى طبيعة الاسلام وانما الذنب ذنب المسلمين الذين لم يفهموا الاسلام على وجه الصحيح . وحافظ يذكر الامام على أنه حامى الاسلام .

تباركت هذا الدين دين محمد ... أيترك فى الدنيا بغير حماه
تباركت هذا عالم الشرق قد مضى ... ولانت قناة الدين للغمزات

ولكن الدين لم تلن قناته للغمزات فى حياة الامام الذى كافح عنه ضد " جبرائيل هانوتو " السياسى المؤرخ الذى كتب مقالات عدة فى الطعن على الاسلام ودافع الامام ضد " أرنست رينان " الفرنسى القس الكاثوليكى المشهور بمطاعنه على الدين الاسلامى ، وكان الامام يفحصها فى ردوده . وسجل حافظ هذا فى رثائه له :

ووقفت بين الدين والعلم والحجا ... فأطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفت (لهاناتو) و (رينان) وقفة ... أمدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله فى كل موقف ... فخافك أهل الشرك والنزعات

وكان حافظ كشاعر اجتماعى همه محاربة العيوب الاجتماعية والبدع وكان يحتج فى محاربة هذه البدع من منهل آراء الاستاذ الامام فى الاصلاح الدينى والاجتماعى .

وأنا أبدأ أوضح هذه المواقف التى عرض فيها حافظ العلاج ورأى فيها الرأى السديد .

٨-٥
جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

المرأة فى شعرة

وأراد الادب العربى أن يقوم المجتمع العربى الحديث على عنصريه معا المرأة والرجل ، ولم تكن الدعوة الى رفع شأن الرجل العربى وحده ، وتحريره من أوهام الماضى وحبائله وتزويده [illegible] بسلاح العلم والفهم الحديث للحياة وحقوقه باعتباره انسانا يحيا ويشارك فى رفاهية أخوانه من المواطنيين وبنى البشر أجمعين لم تقتصر الدعوه على الرجل العربى وحده ، بل أن بعض المصلحين وقفوا جهودهم للدعوة لنهضة المرأة العربية وتحريرها من الرق والظلم والخوف والتقاليد والجهل والحجاب الصفيق الذى ظل زمانا يحجزها عن مسايرة التطور ، ومشاركة الرجل فى بناء مجتمع صالح .

يقول محمد زغلول سلام :-

"وكان قاسم أمين على رأس أولئك المصلحين فقد وقف حياته للدفاع عن قضية المرأة فى وقت كان التزمت فيه على أشده ، وقد كتب كتابه "المرأة الجديدة" وجعله دستورا لتحرير المرأة من الحجاب والتقاليد والعادات البالية وطالب بتعليمها ، وتنظيم مسائل الزواج والطلاق ومنحها الحقوق الاجتماعيه مستندا فى هذا كله الى النصوص القرآنيه والنبويه محاولا تفسيرها بما يلائم روح العصر" (١)

وشارك الشعراء فى هذا الاتجاه ، فنظم حافظ قصيده فى ذلك ، "وان كانت دعوة حافظ دعوة متحفظ متمسك بالتقاليد الى حد ما ، ويظهر هذا فى قوله :-

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يجلن فى الاسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع
يحذرن رقيبه ولا من واق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا
فى الحجب والتضييق والارهاق
فتوسطوا فى الحالتين وأنصفوا
فالشر فى التضيييق والاطلاق .... (٢)

---

(١) القوميه العربيه فى الادب الحديث للدكتور/ محمد زغلول سلام . (٢) نفس المصدر السابق.

يحيى المرأة :

ولا ينسى أن يحيى جهاد المرأة ويرسم لها الطريق لبناء مصر الحديثه أنه يحيى جمعيه المرأة الجديده بلمسات المزهر الوطنى المعبر :ـ

يقولون نصف النيل فى الشرق عاطل .. نساء قضين العمر فى الحجرات
وهذى بنات النيل يعملن للنهى .. ويغرسن غرسا دانى الثمرات

ويسجل للمرأة صدق الكفاح :

وفى السنة السوداء كنتن قدوة .. لنا حين سال الموت بالمهجات
وقفتن فى وجه الخميس مدججا .. وكنتن بالايمان معتصمات
رماها لكن الرمح والسيف مصلتا .. ولا المدفع الرشاش فى الطرقات
تعلم منكن الرجال فاصبحوا .. على غمرات الموت أهل ثبات

عنايته بالمرأة :

وعنى حافظ بالمرأة فبذل جهودا موفقه فى نهضة المرأة وتثقيفها من ذلك قصيده عصماء دبجها سنة ١٩١٠ مطلعها :ـ

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى .. فى حب مصر كثيرة العشاق

يقول فيها منوها بفضل المرأة فى المجتمع :

من لى بتربية النساء فانها .. فى الشرق علة ذلك الاخفاق
الام مدرسة اذا أعددتها .. أعددت شعبا طيب الاعراق
الام روض أن تعهده الحيا .. بالرى أورق أيما أيراق
الام أستاذ الاساتذه الالى .. شغلت مآثرهم مدى الآفاق

السفور والحجاب:

ولقد صور حافظ موقف الكثير من المستنيرين فى هذا العصر كانوا يرون رأى قاسم وهو منهم ولكنه أشفق من الجهر به وترك ذلك للايام تقضى فيه •

يقول حافظ :

انى رأيت رأيا فى الحجاب ولم ∴ تعصم فتلك مراتب الرسل
الحكم للايام مرجعه ∴ فيما رأيت فنم ولا تسل
فاذا أصبت فأنت خير فتى ∴ وضع الدواء مواضع العلل
أولا فحسبك ما شرفت به ∴ وتركت فى دنياك من عمل

تعليق على ذلك :

يؤخذ على حافظ أنه كما قلت سابقا ـ لم يكن يتعمق فى دراسة هذه المسألة الاجتماعية ، ولم يكون فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها فلقد هرب من ابداء رأيه فيها ، ولم يتحيز الى أحد الفريقين وترك المتنازعين •

يتنازعون في حرية المرأة وتقييدها ، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه أنه لم يقرأ كتاب تحرير المرأة ، وان كان قال فيه شعرا ولم يقطع باصابة قاسم أو خطئه .

يقول طه حسين : " وقد عرض حافظ في هذه القصيدة لرأي قاسم في السفور والحجاب فتحفظ ولم يقطع ولم يعلن مناصرة صاحبه ، وكان في ذلك مصورا (سواء أراد أو لم يرد) لموقف كثير من المستنيرين في ذلك العصر كانوا يرون رأي قاسم ، ولكنهم يشفقون من الجهر به ويرجئون الامر الى الايام تقضي فيه بالحق " (١)

غلاء الاسعار

أحس حافظ ابراهيم بهذه المشكلة كما يحسها كل فرد فقال :-

أيها المصلحون ضاق بنا العيش ∴ ولم تحسنوا عليه القياما
عزت السلعة الذليلة حتى ∴ بات مسح الجذاء خطبا جساما
وغدا القوت في يد الناس كاليا ∴ قوت حتى نوى الفقير الصياما
يقطع اليوم طاويا ولديه ∴ دون ريح القتار ريح الخزامى
ويخال الرغيف في البعد بدرا ∴ ويظن اللحوم صيدا حراما
ان أصاب الرغيف من بعد كد ∴ صاح : من لي بأن أصيب الاداما
ايها المصلحون اصلحتم الارض ∴ وبتم عن النفوس نياما
أصلحوا انفسا أضر بها الفقر ∴ واحيا بموتها الآثاما

الى أن يقول :-

قد شقينا ونحن كرمنا الله ∴ بعصر يكرم الانعاما

رعاية الاطفال :

وقد انشد قصيدة في الحفل الذي اقامته له جمعية رعاية الاطفال في الاوبرا في ٨ ابرايل سنة ١٩١٠ م يقول فيها كما يقول في غيرها حاثا على الاحسان على الأطفال

---

(١) حافظ وشوقي للدكتور طه حسين .

ويقول في رعاية الطفل في محاورة بينه وبين مطران :

هذا صبي هائم ... تحت الظلام هيام حائر
أبلى الشقاء جديده .... وتقلمت منه الأظافر

ويقول في رعاية الطفل أيضا قصيدة يحث فيها على الإحسان يقول :

دعوة البائس المعذب بسور ... يدفع الشر عن حياض الكرام
وهي حرب على البخيل وزي البغي .. والسيف على رقاب اللئام

ومن قوله في الجمعية الخيرية الإسلامية على لسان يتيم آوته الجمعية وأنتشلته من هذا الفقر والتشرد

صغرت يدي فخوي لها ... ورأسي وجوفي والوطاب
لم يبق من أهلي سوى .... ذكرته تناساه الصحاب

ولقد أنشد قصيدة أخرى بعنوان جمعية الطفل أنشدها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٦٢٨م .

وفيها يقول

أيها الطفل لا تخف عثرات الدهر ... ولا تخش عاديات الليالي
قيض الله للضعيف نفوسا ... تعشق البر من زوات الحجال
أي زوات الجمال عشتن للبر ... ودمتن قدوة للرجال

الى ان يقول :

شاع بؤس الأطفال والبؤس داء ... لو أتيح الطبيب غير عضال
أيدوا كل مجمع قام للبر ... بجاه يظلة أو بمال

وأنشد قصيدة أخرى فى حفل أقامته جماعه رعاية الاطفال بالاوبرا وقد استلهلها بوصف القطار فقال :

صفحة البرق أو مضت فى الغمام . . أم شهاب يشق جوف الظلام
أم سليل البخار طار الى القصـ . . ـد فأعيا سوابق الاوهام

ونادى فى هذه القصيدة بإقامة دار للبر يقول :

وأقاموا للبر دارًا فكانت . . خير ورد يؤمه كل ظامى
ملئت رحمه وفاضت حنانا . . فهى للبائسات دار سلام

ويقول على لسان متصوف فاسق يتظاهر بالصلاح وهو مغرم بغلام :

أخرق الدف لو رأيت شكيبا . . وأفض الأذكار حتى يغيبا
هو ذكرى وقبلتى وامامى . . وطبيبى اذا دعوت طبيبا

ولا ينسى حافظ الادباء غير المحققين ، والذين يشوهون الحقائق

وأديب قوم تستحق يمينه ... قطع الانامل أو لظى الاحراق
يلهو ويلعب بالعقول بيانه ... فكأنه فى السمر رقية راقى
يرد الحقائق وهى بيض نصع ... قدسية علوية الاشراق
فيردها سودا على جنباتها ... من ظلمة التمويه ألف نطاق
عريت عن الحق المطهر نفسه ... مختانه ثقل على الاعناق

وفى أضرحة الأولياء ، والتمسح بها ما يشير الى محاربة البدع و هجومة على زائرى أضرحة الأولياء ، فيبين أنهم لا ينفعون ولا يضرون ، ويتهكم من الساعين إليها المتوسلين اليها فى قضاء الحاجات ..

يقول بعنوان يحارب البدع .

من لى بحظ النائمين :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم ... وبألف ألف ترزق الأموات

من لى بحظ النائمين بحفرة ... قامت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنام لها ويجرى حولها ... بحر النذور وتقرا الآيات

ويقال هذا القطب باب المصطفى ... ووسيلة تقضى بها الحاجات

وتعرض هؤلاء الاقطاب الاموات منهم والاحياء من أرباب الطرق الصوفيه لشواظ من نار صبها عليهم حافظ عندما كشف الستار عن المحتالين باسم الدين الذين يوقعون السذج فى حبائلهم

كم عالم مد العلوم حبائلا .... لوقيعه وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه .... لمكيدة أو مستحل طلاق
يمشى وقد نصبت عليه عمامه .... كالبرج لكن فوق تل نفاق
ويدعونه عند الشقاق وما دروا .... أن الذى يدعون خون شقاق

الدعوة لايتاء الزكاة :

وفى نفس القصيدة التى أنشدها فى جماعة رعاية الأطفال بالاسرا نادى بمساعدة القوى للضعيف حتى لا يشكو الجوع معدم •

يقول حافظ :

لو وفى بالزكاة من جمع الدنيـ • ـيا وأهوى على اقتناء الحطام
ما شكا الجوع معدم أو تصدى • لركوب الشرور والآثام

محاربة الانحراف :

وكان حافظ رحمه الله يحس بخطورة الانحراف فى هذا البلد ويخش على الشباب من الفاجرات الساقطات عبر عن ذلك فى بيتين بعنوان الأزبكيه لانها كانت محط رحال الساقطات من النسا ••

يقول حافظ :

كم وارث غصن الشباب رميته • بغرام راقصة وحب هلوك
ألبسته الثوبين فى حاليهما • تيه الغنى وذلة المفلوك

دعوة الى الاحسان :

يقول حافظ فى قصيدته هذه داعيا لمعونة احمد افندى أبى العدل وأسرة محمود حبيب وكانا من أشهر الممثلين المصريين •

هذا (أبو العدل) فمن خاله • حَيًّا فما خال سوى المكس
كانت له فى حلقه ثروة • • من شعرة تشجى ومن جرس
فغاله الدهر كما غاله • • حتى غدا كالطلل الدرس
فاكتسبوا الاجر ولا تبتغوا • • شراءه بالثمن البخس

ويقول فى قصيدة أخرى حاثا على الاحسان مبينا أن جزاء المحسنين عند الله مضاعف •

من جاد من بعد السؤال فانه • • وهو الجواد يعد فى البخال
انى أرى فقراكم فى حاجة • • لو تعلمون لقائل فعال
والمحسنون لهم على احسانهم • • يوم الاثابة عشرة الامثال
وجزاء رب المحسنين يجل عن • عد وعن وزن وعن مكيال

الفصل الثاني : المجتمع الكبير في شعر حافظ ابراهيم

حبه لمصر: كان حافظ شديد الحب لمصر، وكان يحس باحساس المصريين في حبهم لوطنهم. يقول احمد أمين : " ويتغزل في هذا الطور من الحياة، ولكن لا في جارية، ولا في غلام، ويتغنى ولكن لا في كأس أو مدام، انما يتغزل في مصر، ويأرق في حب مصر. " (١)

وما أنا والغرام وشاب رأسي . . وغال شبابي الخطب الجسام
لعمرك ما أرقت لغير مصر . . وما لي دونها أمل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت . . تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال . . وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعي ما بات فيها . . وباتت مصر فيه فحول ألام

وهكذا اتخذ حافظ ما يحدث من أحداث اجتماعيه في عصره أساسا لدعوته، وسنادا لهجمته. فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلف منه موضوعا لشعره، ويملؤه بما يجيش في صدره.

تقريعه الامه على الاستسلام:

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة مختارة يقرع الامة تقريعا جارحا مؤلما على استنامتها واخلادها للسكون، واستسلامها للاجانب.

أمة قد فت في ساعدها . . بغضها الاهل وحب الغربا
تعشق الألقاب في غير العلا . . وتفدي بالنفوس الرتبا
وهي والاحداث تستهدفها . . تعشق اللهو وتهوى الطربا
لاتبالي لعب القوم بها . . أم بها صرف الليالي لعبا

ويقول:

واذا سئلت عن الكنانة قل لهم . . هي أمة تلهو وشعب يلعب

ونحو ذلك كثير في ديوانه.

---

(١) مقدمة ديوان حافظ لاحمد أمين

نزعته العربية :

وكان حافظ يريد دولته دولة عربية لاأثر لأعجمى فيها لأنه يعلم أن نكبة العرب فى كل دهره فى قديمه وحديثه كانت على أيدى الاعاجم يقول :

واها على دولة بالامس قد ملأت • جوانب الشرق رغدا من أياديها
كم ظللتها وحاطتها بأجنحة • عن أعين الدهر قد كانت تواريها
من العناية قد ريشت قوادمها • ومن صميم التقى ريشت خوافيها
والله ماغالها قدما وكاد لها • واجتث دوحتها الا مواليها
لو أنها فى صميم العرب قد بقيت • لما نعاها على الايام ناعيها
ياليتهم سمعوا ماقاله عمر • والروح قد بلغت منه تراقيها
لا تكثروا من مواليكم فان لهم • مطامعا بسمات الضعف تخفيها

تبصيره الطريق للمصريين :

ويهدى المصريين الى الصراط المستقيم مستنهضا هممهم :

قم يابن (مصر) فأنت حروا ستعد • مجد الجدود ولا تعد لمراح
شمر وكافح فى الحياة فهذه • دنياك دار تناحر وكفاح
وخض الحياة وان تلاطم موجها • خوض البحار رياضة السباح
واجعل عيانك قبل خطوك رائدا • لا تحسبن العمر كالضحاح

مظاهر ثورته على أوضاع البلد :

كان طبيعيا اذا وهذا حال المجتمع المصرى ابان الحرب العالميه الأولى أن يحس الأفراد جميعا بهذه الأعباء ، وأن يغضب الشعب لكرامته تهدر ، ولا مواله تنهب ، ولأرضه تدنس بالغاصب ، ولأفراده يساقون قسرا الى ميادين القتال ، فكان طبيعيا أن تنفجر الثورة وأن يشترك فيها الشعب على اختلاف طبقاته وأديانه .

ورحم الله حافظا حين سجل هذه المظاهر فى قصيدة بعنوان :

"الامتيازات الاجنبيه" ومنها (١)

سكت فأصغروا أدبى • وقلت فأكبروا أدبى
وما أرجوه من بلد • به ضاق الرجاء بى ؟
وهل فى مصر مفخرة • سوى الألقاب والرتب؟
وذى ارث يكاثرنا • بمال غير مكتسب

---

(١) حـ ٢ من الديوان ص ١١١

وفى الروس موعظة ∴ لشعب جد فى اللعب
يقتلنا بلا قود ∴ ولا دية، ولا رهب
ويمشى نحو رايته ∴ فتحميه من العطب

ويقول مساندا الامة:

حينما تبدأ بحركه، وتقف موقفا مشرفا مفيحيى أهله، ويبشر بعد أن كان ينذر، ويعاوده الأمل بعد اليأس، والرجاء بعد الخيبة.

يقول مخاطبا سعد:

قاوم فخلفك أمة قد أقسمت ∴ ألا تنام وفى البلاد دخيل

ويقول:

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا ∴ سنريه كيف يصيده زغلول

الى كثير من أمثال ذلك.

ومع ذلك فحافظ لا ينس بعض مظاهر النهضه، وإن لم يتتبعها كما تتبعها شوقى فيقول فى معاهد البنات المختلفة أكثر من قصيدة، ويرى النهضة القوميه والدنيه تقوى فى مصر ولا سيما بعد الحرب العالمية الأولى، ويفطن كثير من مصلحى هذه الامة الى أن الدين عصمة من المفاسد التى طغى طوفانها فى خلال الحرب العالميه الأولى، وكثرة الواردين على مصر من مختلف الجيوش المحاربه، واستحكام الغلاء، وبيع الضمائر، والاستهتار بالتقاليد، وكانت ثورة عامة فى العالم أجمع، عصفت بالقيم الخلقيه والفضائل الساميه.

حادثة دنشواى

وتحدث حادثة دنشواى فيشن حافظ الغارة على الانجليز فى تصرفهم ، وعلى بعض المصريين فى معاونتهم ، وعلى المصريين جميعا فى استكانتهم ، ويلهب الشعور ، ويشعل الحماسة ، ويستثير الدمع . وعلى الجملة كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناصبهم فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية ، ويصوغها القادة وأولوا الرأى أفكارا ينادون بها فى مجلس الشورى ، ويصوغها حافظ شعرا قويا يغذى نفوس الشباب ويلهب شعور من سمعه ولكننا نرى شوقى يسكت عن حادثة دنشواى ، فلا يقول شعرا فيها الا بعد عام من مأساتها وذلك حين يأمن مغبة القول ، أو حين يأمن القصر سوء عاقبة الحديث ، أى بعد أن ذهب (كرومر) الطاغية الشديد العداء لعباس ، وجاء (غورست) المعتمد البريطانى المهادن المتساهل . وهنا تسمع شوقى يقول ميميته التى يتحدث فيها عن ضحايا دنشواى ويطالب بالافراج عن مسجونيهم ، وفيها يقول :

مرت عليهم فى اللجود أهلة ∴ ومضى عليهم فى القيود العام

وليس من الممكن الاعتذار عن شوقى فى سكوته عاما عن الحديث عن مأساة دنشواى ، مهما قيل أنه كان لم يلهم شعرا يوفها أو أنه كان خارج مصر وقت حدوثها . (=١)

فالشى الذى لا شك فيه الذى أن الحادثة كانت من البشاعة بحيث تثير كل من له حظ ولو ضيئل من الاحساس ، فضلا عن شاعر كبير .

وحسبنا أن تعرف أن الكاتب البريطانى "برنارد شو" قد هزته حادثة دنشواى فكتب منددا بجنايتها ، مدافعا عن المصريين فيها ، وهو أجنبى ، بل هو من أبناء أمة الاحتلال .

---

(١) وطنية شوقى للدكتور احمد الحوفى ص ١٦٩-١٧٠ .

وهكذا اتبع شوقى سياسة القصر فلم يعبر عن عواطف المصريين جميعا ازاء هذه الكارثة ، فلم ينطق الا بعد مرور عام ، فقال قصيدة من أربعة عشر بيتا ، وفيها ترديد لما قاله حافظ .

وفيها يقول :

يا دنشواى على رباك سلام ... ذهبت بأنس ربوعك الايام
شهداء حكمك فى البلاد تفرقوا ... هيهات للشمل الشتيت نظام
ياليت شعرى فى البروج حمائم ... أم فى البروج منية وحمام

يقول الدكتور شوقى ضيف :

" على كل حال لم تكن هذه المقطوعة تعبيرا عن عواطف متأججة فى نفس شوقى ، وانما كانت ارضاء للجمهور الذى يقرأ شوقى فى الصحف ، ويقرأ مدائحه فى عباس " (١) .

وبذلك أصبح الشاعر يفكر فى ارضاء قرائه ، فهو لا يشعر لنفسه فحسب ، ولا لامرائه فحسب ، كما كان يصنع الشاعر القديم ، بل هو يشعر أيضا للجمهور الذى يقرؤه ، فهو خطر ان يتحدث اليه فى همومه واحزانه ، كما يتحدث اليه فى مسراته وافراحه ، ومن هنا يخطر لشوقى ارضاء لجمهوره من الشعب المصرى أن يشاركه بعض متاعبه وآلامه ، وأن لا يظل جامدا فى الحادثة الكبرى تمر به ، بل يتحرك معه ويشاركه ، واذا أفلتت منه الفرصة على نحو ما أفلتت منه فى حادثة دنشواى أخذ يتحين الوقت الذى يدخل فيه ثانية الى الشعب ليشركه فى أنينه وعذابه ، حتى يقع منه موقع رضا واستحسان .

أما حافظ ، فيذيع فى حادث دنشواى قصيدته المشهورة التى يقول فيها مخاطبا الانجليز فى مرارة وسخرية :

خفضوا جيشكم وناموا هنيئا ... وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا
واذا أعوزتكم ذات طوق ... بين تلك الربا فصيدوا العبادا
وانما نحن والحمام سواء ... لم تغادر أطواقنا الاجيادا

ثم يذيع قصيدة ثانية فى استقبال " كرومر " يشير فيها الى فظاعة الحادث المشئوم فيقول عن ضحايا دنشواى :

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا ... بحبال من شنقوا ولم يتهيبوا
شنقوا ولو منحوا الخيار لاهلوا ... بلظى صيات الجالدين ورحبوا
يتحاسدون على الممات وكأسه ... بين الشقاة وطعمه لا يعذب (٢)

" وينتهز فرصة زواج الشيخ على يوسف بنت السيد عبد الخالق السادات والطعن فى هذا الزواج بأنه غير متكافئ " ، ويقول قصيدة طويلة ينعى فيها على الشباب نفاقهم وتقاعسهم عن المعالى ، وتفرقهم شيعا وأحزابا " . (٣) .

وهذا يلوذ بقصر الامير ... ويدعو الى ظله الارحب
وهذا يلوذ بقصر السفير ... ويطنب فى ورده الاعذب
وهذا يصيح مع الصائحين ... على غير قصد ولا مأرب

الى أن يقول :

تضيع الحقيقة ما بيننا ... ويصلى البرئ مع المذنب

---

(١) شوقى شاعر العصر الحديث للدكتور شوقى ضيف
(٢) ديوان حافظ جـ ٢ ص ٢٠ ، ٢١.

حافظ والدعوة لبناء الكيان المعنوى للقومية العربية :

وقد وقف حافظ يناضل فى سبيل تدعيم قيمنا العربية فى نفوس المواطنين ، وهى قيم منبثقة من تاريخنا وتقاليدنا ، وروحنا ووعينا وتقاليدنا .

وتصدى للحرب التى شنت على اللغة ، فعارض احلال اللهجات الاقليمية مكان الفصحى فى الادب ، بل هاجم مجرد التحرر من قيود الفصحى وقواعدها لتظل اللغة كما هى ، كما كتب بها أجدادنا ، ودونت بها معالمنا الفكرية الخالدة ، وكما نزل بها القرآن سليمة صافية قوية ، تربط بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا .

* وقد نظم حافظ ابراهيم فى الدفاع عن العربية قصيدة طويلة بعنوان : اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها يبدؤها بقوله :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ... وناديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى ... عقمت فلم أجزع لقول عداتى
ولدت ولما لم أجد لعرائسى ... رجالا وأكفاء وأدت بناتى

ويقول فيها :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادى بوأدى فى ربيع حياتى

ولو تزجرون الطير يوما علمتم .. بما تحته من عثرة وشتات (١)

الى أن يقول :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن .. فهل سألوا الغواص عن صدفاتى
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى .. ومنكم وان عز الدواء أساتى

ويقول ان كل اناس يحتفظون بلغاتهم ، ويعتبرونها عنوانا لمجدهم ورمزا لعزتهم ، وان الدعوى بهجر لغتنا الفصحى والإقلال من شأنها انما هى دعوى شعوبيه من شأنها تحقيرنا نحن والنيل من كياننا :

أرى الرجال الغرب عزا ومنعة
وكم عز أقوام بعز لغات
ايهجرنى قومى عفا الله عنهم
الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثه الاعجام فيها كما سرى
لعاب الافاعى فى مسيل فرات

" والذى لا شك فيه أن قصيدة حافظ فى الدفاع عن الفصحى كانت لها آثار بعيدة المدى فى تعويق محاربة الفصحى لما تضمنته من معان قويه صيغت فى أساليب رصينه وكان أثر انفعال حافظ باديا فى كل أبياتها " (٢)

استمع اليه يدافع عن الفصحى ويرد على القائلين بعجزها عن مسايرة ركب الحضارة كما يقول " ويليام ويلكوكس "

وسعت كتاب الله لفظا وغايه .. وما ضقت عن أى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة .. وتنسيق اسماء لمخترعات
أيهجرنى قومى — عفا الله عنهم .. الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى .. لعاب الافاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة .. مشكلة الالوان مختلفات

---

(١) القوميه العربيه فى الادب الحديث للدكتور محمد زغلول سلام

(٢) العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث للجيزاوى .

وتظهر العيوب الاجتماعية فى المجتمع فيقول حافظ هذه القصيدة ينعى فيها على بعض المصريين بعض العيوب الاجتماعية وما يراه من فوضى الرأى وقلة الثباب عليه ، يقول حافظ

حطمت اليراع فلا تعجبى ∴ وعفت البيان فلا تعتبى
فما أنت يا مصر دار الأديب ∴ ولا أنت بالبلد الطيب
وكم فيك يا مصر من كاتب ∴ أمال البراع ولم يكتب

ويشيد بذكرى الأخلاق فيقول :

والعلم إن لم تكتنفه شمائل ∴ تعليه كان مطية الإخفاق
لاتحسبن العلم ينفع وحده ∴ مالم يتوج ربه بخلاق (١)

ويخاطب الشبان المسلمين بقصيدة عنوانها :

نشيد الشبان المصريين :

يقول فيها :

أعيدوا مجدنا دنيا ودينا ∴ وزودوا عن تراث المسلمينا
فمن يعنوا لغير الله فينا ∴ ونحن بنو الغزاة الفاتحينا

وينعى على قومه سوء النظافة وقذارة الطرق وانعدام النظام فيقول بعنوان :

سوء النظافة :

ولع القوم بالنظافة حتى ∴ جن فيها غنيهم والفقيرا
فاذا سرت فى الطريق نهارا ∴ خلت أنى على المرايا أسيرا

---

(١) حافظ ابراهيم للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والاداب.

والى جانب هذا ينظر فى الجانب العملى من حياة قومه وسلوكهم الظاهر الملموس فيندد بمسلكهم فى قضاء أوقات الفراغ وانفاق الوقت فى غير طائل بعكس الغربيين الذين : (١)

قسموا الوقت بين لهو وجد ∴ فى مدى اليوم قسمة لاتجور
كلهم كادح بكور الى الرز ∴ ق ولا ماذا دعاه السرور
لاولا باهلا سليم النواحى ∴ للقهاوى رواحه والبكور
لاترى فى الصباح لاعب نرد ∴ حوله للرهان جم غفير

ولا يزال حافظ ينتهز الفرص لينشر آراءه الاجتماعية فنراه فى حفل أقامته كلية البنات الأمريكية يشير بالتعليم ويتخذ من ثم سبيلا الى الاشادة بالتقدم الغربى ومحاربته الامراض الاجتماعية فيشير الى قانون تحريم الخمر الذى أصدرته الولايات المتحدة فى ذلك الوقت:

وحرمتم على العقول فخرمـ ∴ تم عصيرا يراه قوم حلالا
وقدرتم دقيقة العمر حرصا ∴ وسواكم لايقدر الأجيالا

ويقول فى قصيدة مبينا خير الأعمال بعنوان :

خير الصنائع

خير الصنائع فى الأنام صنيعة ∴ تنبو بحاملها عن الاذلال
واذا النوال أتى ولم يهرق له ∴ ماء الوجوه فذاك خير نوال

---

(١) حافظ ابراهيم ماله وماعليه للدكتور محمد كامل جمعه.

وقد أنشد قصيدة فى ٨ مايو سنة ١٩٠٨ م بعنوان ·

في الحث على تعضيد مشروع الجامعة :

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا ... ان تنشروا العلم ينشر فيكم العربا
ولا حياة لكم الا بجامعة ... تكون أما لطلاب العلا وأبا
تبنى الرجال وتبنى كل شاهقة ... من المعالى وتبنى العز والغلبا
ضعوا القلوب أساسا لا أقول لكم ... ضعوا النضار فإنى أصغر الذهبا

ويقول قصيدة أخرى بعنوان :

(الى الخديوى عباس)

ومع ما تضمنته هذه القصيدة من مدح للخديوى عباس الا أن غرضها الأول مسألة اجتماعية وهى الفتنة بين مسلمى مصر وأقباطها اذ ذاك ·

يقول حافظ :

مولاى أمتك الوديعة أصبحت ... وعرا المودة بينها تتفصم
نادى بها القبطى ملء لهاته ... أن لا سلام وضاق فيها المسلم
وهم أغار على النهضى وأضلها ... فجرى الغبى وأقصر المتعلم
فهموا من الأديان مالا يرتضى ... دين ولا يرضى به من يفهم
ماذا دها قبطى مصر فصده ... عن ود مسلمها وماذا ينقم
وعلام يخشى المسلمين وكيد هم ... والمسلمون عن المكايد نوم
قد ضمنا ألم الحياة وكلنا ... يشكوه فنحن على السواء وأنتم
انى ضمين المسلمين جميعهم ... أن يخلصوا لكم اذا أخلصتم
رب الاريكة اننا فى حاجة ... لجميل رأيك والحوادث حوم
فافض علينا من سمائك حكمة ... تأسوا القلوب فان رأيك أحكم
واجمع شتات العنصرين بعزمة ... تأتى على هذا الخلاف وتحسم
فكلاهما لعزيز عرشك مخلص ... وكلاهما برضاك صب مغرم

ومن هذه القصيده يتبين لنا أهميه موقف حافظ فى مسأله تعد من أخطر المسائل التى مرت بمصر ، وهو الخلاف الطائفى بين المسلمين والاقباط . فكثيرا ما كان يدعـــو للوحدة والتضامن والتسامح وكان دائما يئن من الانقسام والخصام أنينا مشوب بالشفقه على مستقبل أمتـــه .

هلاك الفرد منشؤه ثوان ... وموت الشعب منشؤه أنقسام

وقامت الفتنه لا لأسباب لها أساس من الصحه ولكن لاسباب مصطنعه مفتعله ، أفتعلها الاستعمار ليطعن المسلمين والاقباط جميعا ، ووقف شاعرنا مهتز الوجدان هائـــج الخاطر يشعر بالجرح والالم والاشفاق على وطنه ، لائما مواطنيه من كلا العنصرين على تضعضع شوكته ، فوجه الخطاب فى القصيده الى الخديوى ليتدارك أمته من كيـــــد الكائدين وفى نهاية القصيده يؤكد أشتراك عنصرى الامه فى الم الحياه والكفاح .

وقال فى حفل أقامته جمعية اعانة العميان لبناء مدرسة للعميان الأحداث بالأوبرا فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦ بعنوان ٠

جمعية اعانة العميان :

يقول فيها :

ان حق الضرير عند ذوى الألبـ ∴ صار حق مستوجب التقديس
لم يضره فقدانه نور عينيـ ∴ يه اذا اعتاض عنهما بأنيس
آنسوا نفسه اذا أظلم العيـ ∴ ش بعلم فالعلم أنس للنفوس
وجهوه الى الفلاح يفدكم ∴ فوق مايستفيده من دروس

وقد أنشد قصيدة بين يدى المغفور له السلطان حسين كامل فى ليلة أحيتها الجمعية الخيرية بالأوبرا السلطانية بعنوان

الجمعية الخيرية الاسلامية :

يقول فيها ٠

قضيت عهد حداثتى ∴ مابين ذل واغتراب
لم يفن عنى بين مشـ ∴ رقها ومغربها اضطراب

الى أن يقول :

(جمعية خيرية) ∴ قامت لتخفيف المصاب
قد كان فيها (عبده) ∴ غوثا يلبى من أهاب
لم يدع مسماحا الى ∴ انعاشها الا أجاب

وقد أنشد قصيدة فى الحفل الذى أقامته كلية البنات الأمريكية لتوزيع الشهادات على خريجاتها فى ٢٦ مايو ١٩٢٦ م بعنوان :

الى رجال الدنيا الجديده.

أى رجال الدنيا الجديده مدوا ... لرجال الدنيا القديمه باعا
وأفيضوا عليهم من أياديـ ... ـكم علوما وحكمه واختراعا
كل يوم لكم روائع آثا ... ر توالون بينهن تباعا
كم خلبتم عقولنا بعجيب ... وأموتم زمانكم فأطاعا
وبذرتم في أرضنا وزرعتم ... فرأينا ما يعجب الزراعا

وقال في قصيدة أخرى بعنوان

مدرسة مصطفى كامل : يقول فيها

سمعنا حديثا كقطر الندى ... فجدد في النفس ماجددا
فأضحى لآمالنا منعشا ... وأمسى لآلامنا موقدا
فديناك ياشرق لاتجزعن ... اذا اليوم ولى فراقب غدا
فكم محنه أعقبت محنة ... وولت صراعا كرجع الصدى
أتودع فيك كنوز العلوم ... ويمشى لك الغرب مسترفدا

وقد أنشد هذه القصيده في الحفل الذى أقمته المدرسه لتوزيع الجوائز على المتفوقين من تلاميذها في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ ميلاديه

وقال فى قصيده الى ناظر المعارف سعد زغلول باشا

نشرت فى ١٢ ديسمبر ١٩٠٦ ومطلعها .

مالى أرى بحر السيا :- سه لا يني جزرا ومدا
وارى الصحائف أيبست :- ما بيننا أخذا وردا
هذا يرى رأى العميـ : ـد وذا يعد عليه عدا

الى أن يقول
يا (سعد) أن (بمصر) أيـ :- تاما تؤمل فيك سعدا
قد قام بينهم وبيـ :- ن العلم ضيق الحال سدا

وايضا قال قصيده فى
الحث على تعضيد مشروع الجامعه

أن كنتم تبذلون المال عن رهب :- فنحن ندعوكم للبذل عن رغب

وفيها يقول
من المداوى أذا ما علة عرضت :- من المدافع عن عرض وعن نشب
ومن يروض مياه النيل أن جمحت :- وانذرت مصر بالويلات والحرب
ومن يوكل بالقسطاس بينكم :- حتى يرى الحق ذا حول وذا غلب
ومن يطل على الافلاك يرصدها :- بين المناطق عن بعد وعن كثب

يشير بهذه الابيات السابقه الى طوائف المتخرجين من الجامعه على أختلافهم من أطباء ومهندسين ومحامين وقضاه وفلكيين .

يقول الدكتور محمد حسين " ولقد وجدنا الشعر ـ من أجل المجتمع ـ يسهم فى حده المجتمع وانهاضه وتحريره وشارك فى قضايا التعليم ونشره وتصيرة "

---

(١) الاتجاهات الوطنيه للدكتور محمد حسين .

سوريه ومصـــــر

أنشد هذه القصيده فى الحفل الذى أقامته لتكريمه جماعه من السوريين بفندق شبرا (نشرت فى ٢٥ مارس ١٩٠٨م)

لمصر أم لربوع الشام تنتسب ... هنا العلا وهناك المجد والحسب
ركنان للشرق لازالت ربوعهما ... قلب الهلال عليها خافق يجـــب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما ... ولا تحول عن معناهما الأدب
أم اللغات غداة الفجر أمهـــما ... وان سألت عن الآباء فالعـــــرب

ومما سبق نرى أن حافظا كان وسطا بين شعراء الحريه القوميه وشعراء الحريه الشخصيـــــه لم يهمل الناحيتين ولم يبلغ فى احداهما مبلغ الكمال ، فهو شاعر الحياه القوميه فى كلامه عن اللغـــه الفصحى وعن السفور والحجاب ، وعن فاجعة دنشواى ، وعن أزمات المال والسياسه ، وعن مضاربات الاغنياء فى سوق القطن ، وأضرار الشركات بالبلاد ، ثم هو شاعر الحياة الشخصيه فى شكواه وهزله فيما يبدو خلال قصائده الاجتماعيه من ميول نفسه وخلجات طبعه .

فليس له فى ابناء جيله نظير فى الجمع بين الخصلتين والظهور بحالة قومه وحالة نفسه معا على صفحات ديوانـــه .

مسائل اجتماعيه تتعلق بسياسه البلاد

ملحق بسوريه ومصر

ولا يقف سعيه عند الدعوه الى رتق الخروق التى تظهر بين صفوف الامه المصرية وحسب بل يتعدى هذا الى أصلاح ذات البين بين المصريين وبعض السوريين الذين أتخذوا مصر وطنا ثانيا . فالسوريون هاجروا عن بلادهم فرارا من الظلم وسعيا وراء الرزق فى مصر حيث تتوفر لهم الحريه ويشعر حافظ ازاءهم بشعور المعجب بكفاحهم وتجاولهم :

لم يعصمهم علم فيها ولا عدد ... سوى قضاء تحامى ورده النوب
لهم بكل خضم مشرب نهج ... وفى ذرا كل طور مسلك عجب
ما عابهم أنهم فى الارض قد نثروا ... فالشهب منثوره مذ كانت الشهب

وحافظ يصور هذا الجفاء الذى حدث بين المصريين والسورين بسبب المنافسه على الرزق ويصور ما رسب فى النفوس لموقف معاصرى الثوره العرابيه من السوريين الذين اضطروا الى الرحيل عن مصر بعد أن لم تلق آراؤهم التى تدعو الى القصد فى طلب الحريه قبولا لدى المصريين فهاجم أحد ادبائهم وهو " أديب اسحاق " الثوره العرابيه ووصف قادتها بقوله .

فهم اللصوص وان هم قد أوهموا ... أن ليس ما ارتكبوه غير جهاد

يصور حافظ هذا الجفاء فى " ليالى سطيح " على لسان أديب خورى .

ويتلمس حافظ تهيئة الجو وتصفية النفوس ويعرض للمشكله من وجهها الاجتماعى فيرد هذا الجفاء الى أنه ليس بجفاء التنابذ ولكنه تنافس الكادحين وحرص الساعين فلا أحد مخطئ فى موقفه من السوريين أوالمصريين .

يقول حافظ :

سعوا الى الكسب المحمود وما فتئت ... أم اللغات بذاك السعى تكتسب
فأين كان الشآميون كان لها ... عيش جديد وفضل ليس يحتجب
هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم ... فصافحوها تصافح نفسها العرب

الفصل الثالث :

المجتمع الأكبر فى شعر حافظ ابراهيم :

كان فى شعره سجل الأحداث ليسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه ، ويصوغ منها أدبا قيما يستحث النفوس ، ويدفع الى النهضة ، سواء أضحك فى شعره أم بكى .

ويتسع افقه فى كثير من الأحيان ، فينظر الى الوحدة العربية ، والوحدة الاسلامية فكم قال فى علاقة الشاميين والمصريين ، وفى الدعوة الى الاخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ، وكم قال فى علاقة مصر بالاستعانه ، وتمنى نهضة الخلافة ، ورفع لوائها ، وعودة مكانتها ، وكم شعر فى وحدة الشرق وتعاونه وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب ، داعيا الى ائتلاف الشعوب ، ينتهز لذلك كل فرصة ، كافتتاح السكة الحديدية الحجازية ، وأعياد الدستور للأمة التركية ، وحفلات التكريم التى يشترك فيها أدباء الشرق ونحو ذلك .

بل أحيانا يزيد اتساع افقه ، فينظر الى الانسانية كلها ، يتعاطف معها ويحس باحساسها ، من ذلك :

زلزال مسينا

يقول فيه : فسلام عليك يوم توليـ .. ـت بما فيك من مغان حسان

ويقول : رب طفل قد ساخ فى باطن الار .. ض ينادى : ((أمى وأبى أدركانى))

وفتاة هيفاء تشوى على الجمـ .. ـر تعانى من حره ما تعانى

وأب ذاهل الى النار يمشى .. مستميتا تمد منه اليدان

تأكل النار منه لاهو ناج .. من لظاها ولا اللظا منه دان

حريق ميت غمر

وقد نشبت النار فى مدينة ميت غمر دقهلية فى (يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٠٢) (٢٢ محرم سنة ١٣٢٠ هـ) وظلت فى الاندلاع حتى يوم ٨ مايو ، وهلك كثيرون بسبب هذا الحريق ، ودمرت كثير من الدور والمحال ، وفيها يقول الشاعر هذه القصيدة :

سائلوا الليل عنهم والنهارا .. كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم فقد الام .. وكيف اصطلى مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جداد .. يتداعى وأسقف تتجارى

الى الأرض :

وقد حدث بركان فى احدى جزر الهند الغربية الفرنسية ، ويشير الشاعر الى الثوران البركانى الذى حدث فيها :

ألبوك الدماء فوق الدماء ؟.. وأروك العداء بعد العداء
فلبست الفجيع من عهد قابيـ .. ـل وشاهدت مصرع الأبرياء

الى ان يقول :

أيها الناس ان يكن ذاك سخط الـ .. أرض ، ماذا يكون سخط السماء؟

الباب الثانى

اشارات عامة

الفصل الاول

الرثاء فى شعر حافظ ابراهيم

ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية ، أشد اتصال ، شعره فى الرثاء فقد أكثر منه ، كما فى ديوانه ، وقد قال فى ذلك عن نفسه :

اذا تصفحت ديوانى لتقرانى   وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

ويقول طه حسين فى كتابه : " رحم الله حافظا ! لم يكن فردا يعيش لنفسه بنفسه ، وانما كانت مصر كلها ، بل الشرق كله ، بل الانسانية كلها فى كثير من الاحيان تعيش فى هذا الرجل ، تحس بحسه ، وتتألم بقلبه ، وتفكر بعقله ، وتنطق بلسانه ، لا أعرف بين شعراء هذه الايام شاعرا جعلته طبيعته مرآة صافية صادقة لحياة نفسه ولحياة شعبه كحافظ رحمه الله . " (١)

نعم هذه منزلة لا اعرف كثيرا من شعراء العربية قد بلغوا منها مابلغ حافظ فبين شعرائنا فى هذه الآيام من يرثون فيحسنون الرثاء ، ولكنهم لا يثيرون على ذلك كله ما فى النفوس من عواطف الحزن الكامنة ، ولا يذرفون من العيون هذه الدموع الغزيرة كما كان يفعل حافظ لأن أكثر هؤلاء الشعراء يرثون ولكن عن غير حزن صادق ويندبون ولكن عن غير لوعة محرقة ، هم يقصدون من الرثاء على انه فن من فنون الشعر يجب أن يساهموا فيه ، اما حافظ فكان يرثى لانه يحزن ، وكان يحزن لانه يحب .

رحم الله حافظا ! لم يكن رثاؤه صورة لما يثور فى نفسه ونفس الناس من حزن فحسب ، وانما رثاؤه يصلح مصدرا من مصادر التاريخ السياسى والاجتماعى فى هذا العصر .

---

(١) حافظ وشوقى لطه حسين .

نقل الرثاء من مسألة فردية الى مسألة اجتماعية

وقد أجاد فى شعر الرثاء كل الاجادة ، وأحس كل الاحساس ، وسبب ذلك أنه استطاع فى كثير من الأحيان ان ينقل الرثاء من مسألة فردية الى مسألة اجتماعية ، فموت الاستاذ محمد عبده نكبة على مصر ، وعلى العالم الاسلامى .

يقول الدكتور عبد الحميد سند الجندى :

" وما أروع حافظا وهو يصور فجيعة الشرق كله من أقصاه الى أقصاه فى فقد الامام :

بكى الشرق فارتجت له الارض رجة .. وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففى الهند محزون وفى الصين جازع .. وفى مصر باك دائم الحسرات
وفى الشام مفجوع وفى الفرس نادب .. وفى تونس ما شئت من زفرات (١)

وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة ، فهو يتسلل فى حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد صورة كاملة ، الى المسائل العامة الاجتماعية ، وبذلك يجلس حافظ على عرشه ، ويقول فى سهولة وجزالة ما يبرع فيه ويفاق أقرانه .

فكان يصوغ من نبوغه فى الناحية الاجتماعية ، ومن بغضه للدهر وحنقه عليه ، ومن اشفاقه على نفسه ، رثاء يقطع الأحشاء ، ويذيب لفائف القلب ، ولولا هذه مجتمعة ما بلغ فى الرثاء ما بلغ .

ينتهز الفرصة فى رثائه لمصطفى كامل فيقول فى الذكرى الأولى لوفاة مصطفى كامل هاديا قومه الى الصراط المستقيم :

يا أُيها النشء سيروا فى طريقته .. وثابروا أرض الاعداء او انقسموا
فكلكم مصطفى لو سار سيرته .. وكلكم كامل لو جازه السأم
قد كان لاوانيا يوما ولا وكلا .. يستقبل الخطيب بساما ويقتحم

---

(١) حافظ ابراهيم شاعر النيل للدكتور عبد الحميد سند الجندى

ثم يقول فى رثاء محمد فريد ويشير الى ان الامة لا تنام عن هدفها

قل لصب النيل ان لاقيته .. فى جوار الدائم الفرد الصمد
ان مصر لا تنى عن قصدها .. رغم ما تلقى ، وان طال الامد
جئت عنها أحمل البشرى الى .. أول البانين فى هذا البلد
فاسترح واهنأ ونم فى غبطة .. قد بذرت الحب والشعب حصد

* * *

ويقول ايضا فى رثاء سعد زغلول يخاطب الانجليز :

قد ملكتم فم السبيل علينا .. وفتحتم لكل شعواء بابا
واتيتم بالحاملات ترامى .. تحمل الموت جاثما والخرابا
وملأتم جوانب النيل وعدا .. ووعيدا ورحمة وعذابا

* * *

ولكن رثاءه للشيخ محمد عبده فاق ذلك حيث يقول :

سلام على الاسلام بعد محمد .. سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجا .. على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله .. فاصبحت أخشى ان تطول حياتى
فوالهفى - والقبر بينى وبينه - .. على نظرة من تلكم النظرات

* * *

الفصل الثانى

بين حافظ وشعراء آخرين

يقول الاستاذ عمر الدسوقى :

« وكان حافظ قبل أن يدخل سجن الوظيفة شاعر مصر الاجتماعى الذى يأسى لما تعانى من أدواء وعلل ، وهو الذى ذاق مر الفقر ، وكوى بنار الفاقة ، وعرف ذل الحاجة والبؤس ، وكان متأثرا بمبادئ الحزب الوطنى الذى كان فى أوجه حينذاك ، والذى كان يهدف الى نهضة الامة فى كل مرفق من مرافق الحياة (١) .

وليس كذلك شوقى ، فهو قبل الحرب الاولى ، كان حبيسا فى قفص من ذهب مقيدا بقيود القصر ، وأغلب الظن انه لم يكن يدرى عن حالة البؤس والفاقة التى يعانيها سواد الشعب شيئا ، واذا درى فقلما يحس الآلام أو يتذكرها ، وليس له بها عهد أو ادراك ، ولا نسمع له فى هذه الحقبة الا ثلاث قصائد فى الهلال الاحمر والصليب الاحمر ، وليس لشوقى فى الواقع شعر فى الفاقة والبؤس ، والعناية بالفقراء لا قبل الحرب العالمية الاولى أيام كان مقيدا بتلك القيود التى أشرنا اليها ، ولا بعد أن عاد من المنفى ، وذاق فيها مرارة الحرمان ، ولكنه على كل حال — حتى وهو فى منفاه — فى يسر من العيش ورغد من الحياة ، ولذلك لم يشعر بتلك الآلام المبرحة التى يعانيها الفقراء ، ولم يألف المواطن الشعبية التى يغشاها هؤلاء الفقراء ، والاطفال المشردون ، وانما كان يعيش بعد عودته من المنفى فى بيئة محوطة بالعناية والثراء ، قليل الاختلاط بالناس ، اللهم الا طبقة من خلصاء الاصدقاء يزورهم فى سيارته الفخمة ، ويمر بمواكب البؤس ومناظره ، لا يراها ولا يحس بها .

---

(١) فى الادب الحديث لعمر الدسوقى ج ٢ .

أما مطران فحاله كحال شوقى من حيث ندرة ماقال عن الفقراء ، ووصف حالتهم البشعة ، وحث الامة على العناية بهم ، ولو تصفحنا ديوانه كله لانجد فيه الا قصيدتين ، وثلاث مقطوعات ، وليس فيها ذلك الشعور الذى ترائى فى شعر حافظ ابراهيم ، وأغلب الظن انها متكلفه ، طلب اليه أن يقول فقال .

أما اسماعيل صبرى فليس له فى هذا الموضوع قليل أو كثير ، وكأن مصر ليس بها فقراء معدمون ، وأنى لصبرى أن يصف الفاقة والبؤس وأهلهما ، وقد عاش عيشه مترفة منعمة .

وقد قال عنه الدكتور طه حسين فى المقدمة التى صدر بها ديوانه ، ، وكيف السبيل لطالب من الازهر ، أو من طلاب الجامعة القديمة ، شديد الحياء أن يتصل بهذا الرجل الارستقراطى ، الذى كان يشغل منصبا رفيعا من مناصب الدولة ، ويلقب بلقب رفيع من ألقابها ، ولايجلس حيث كان يجلس الشعراء فى هذه القهوة أو تلك ، ولايختلف الى حيث يختلف الشعراء فى هذا النادى أو ذاك (١) .

ونرى محمد عبد المطلب يطرق باب هذه المشكله فى أربع قصائد وهكذا نرى بعض الشعراء قد تأثر بهذه المشاكل الاجتماعيه ، التى لاتزال جاثمة رابضة فى مصر الغنيه ، لم تحل بعد ، ولم يرعو ذوو اليسار عن غيهم ، أو يزدجروا عن شرهم أو يطامنوا من شهواتهم .

ومن ثم وجدنا الشعر ـ من أجل المجتمع ـ يسهم فى وحده المجتمع وانهاضه وتحريره ، وشارك فى قضايا التعليم ونشره وتيسيره .

---

(١) مقدمة ديوان صبرى ص ٩

كما ساند غير هذه وتلك من قضايا مصر فى ذلك الحين ٠

وحين دعا المصلحون لشئ قام الشعراء وساندوا رأيهم ٠ الا أن حافظا رحمه الله فاق الادباء فى هذا المجال ، فكانت حياته جزءا من أدبه ، لانه كان يكافح لتحقيق الانسانية والشرف ،

ومن ذلك قال الاستاذ زكى المحاسنى :ـ

" وحافظ بشعبيته كان ألصق بروح الامة من " شوقى " وأعرق لانه خرج من صفوفها ولم يدخل غمارها من خارجها ، وساعده على أن يرى بعين مجرد تألم الناس ، وأن يشهد مواقف بؤسهم ، أنه كان من المتألمين البائسين ، وشعره فى هذه الفترة من عمره الذى اعتصرته الآلام هو خير ما جاد به ، مما يصور نفسه ويظهر طابعه الفنى على حقيقته ٠ (١)

---

(١) نظرات فى أدبنا المعاصر لزكى المحاسنى ٠

مآخذ علي حافظ في المسائل الاجتماعية والقول في ذلك

على الرغم مما قلناه من أن حافظا قد تبلورت في شعره آمال آمته وآمال الشعب العربي ، لكنه قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق في دراسة المسائل الاجتماعية ، ولم يكن يكون فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها ، ودرس حججها ، كموقفه في مسألة الزوجية ، لقد هرب من ابداء رأيه فيها ، ولم يتحيز الى أحد الفريقين ، وترك المتنازعين يتنازعون في حرية المرأة وتقييدها .

وكموقفه ازاء دعوة قاسم أمين - كما أشرت سابقا - فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه أنه لم يقرأ كتاب تحرير المرأة ، وان كان قال فيه شعرا ، ولم يقطع باصابة قاسم أو خطئه ، ويظل على هذا حتى في رثائه .

يقول الاستاذ احمد امين :

" ورأى ان هذا ليس نقصا فهناك فرق كبير بين الأديب والعالم ، فالعالم يلاحظ الاشياء ليكتشف ظواهرها وقوانينها وعلاقتها بالاشياء الاخر ، وعلاقتها بالظروف التي تحيط بها ، على حين أن الاديب يلاحظ الاشياء من حيث علاقتها بعواطف الانسان وطبيعته الاخلاقية .

فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكشف كل الطبائع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه وبين أمثاله من النباتات الاخر ، ووظيفة كل جزء منه ، والتغيرات التي تطرأ عليه كلما نما حتى يفنى .

اما الاديب فلا يهمه كل ذلك ، انما النبات في نظره قد خلق لجماله ، وليست شجرة الورد في نظره الا زهرته الجميلة وأريجها العطر ، فهذه الناحية الخاصة التي يعني بها الأديب تغتفر لحافظ قلة عمقه في البحث وامعانه في الدرس ، وتخفف حدة نقدنا فيه انه كان ينظر الى الاشياء نظرة عامة من ناحية اتصالها بعواطف الجمهور "(١) وهذا كلام - على ما أرى - طيب يكفي أن اقول به للذود عن حافظ .

---

(١) مقدمة ديوان حافظ لاحمد امين .

هجوم على حافظ ودفعه

لقد هاجمه غير واحد من كبار الشعراء هجوما منكرا تشوبه شرة الحقد وقد حمل لواء هذه الحملة فى أوائل هذا القرن شباب الادباء فى ذلك الحين أمثال ابراهيم المازنى ، وعبد الرحمن شكرى وعباس محمود العقاد .

وكان المرحوم المازنى عنيفا على حافظ فى غير نصفة أو هوادة . كان يراه رجلا جنى على الشعر والادب ، وفى ذلك يقول :

" ولو كان للادُب حكومة تنتصف له من المسئ وتكافئ المحسن لكان اقل جزاء حافظ على ما ارتكب من الشعر أن يبتاع ما اشتراه الناس من كتبه ثم يحرقها بيده لان شعره جناية على الادب " (١)

" على أن المازنى نفسه بعد اكثر من عشرين عاما نراه يندم على ما فرط منه ويصف حملته بأنه كان خيالا وسفها " (٢)

وليس من شك فى أن حافظا وأضرابه من الشعراء الذين تهافتوا على ارضاء الجماهير قد أصابوا الفن الخالص بضربة فى الصميم والواقع أن بؤس حافظ قد أتاح له أن يختلط بسواد الشعب وأن يتعرف أهواءهم .

يقول المرحوم الاستاذ المازنى :

" وسبيل حافظ اذا أراد أن يقول شعرا أن يغش مجالس الناس ويذاكرهم الحديث ليعرف ما ينبغى أن يكون رأيه رغبة فيما يتبع ذلك من طيب الثناء وجميل الذكر " (٣)

وقد بان من ذلك كيف أن هذا القول الموجه لحافظ لا أصل له من الصحة ، فلقد كان حافظ ترجمانا لأمته تلك السنين الطوال واستحق أن يلقب بشاعر النيل .

---

(١) شعر حافظ للمازنى ص١٤ ،
(٢) حافظ ابراهيم شاعر النيل للدكتور عبد الحميد سند الجندى .
(٣) شعر حافظ للمازنى ص١١ .

خاتمة

اذا كان الادب اختيارا للالفاظ وترتيبا للمعانى فهو صنعه فقط . أما اذا كان حياة يحياها الأديب وكفاحا لتحقيق الانسانية والشرف فهو عند ئذ فن .

وبعد فذلكم محمد حافظ فى شعره الاجتماعى . لقد كان ترجمان أمته تلك السنين الطوال فلقب شاعر النيل .

وانه فى جمهرة شعره صريح حر جرئ يعرب عن آمال أمته وآلامها ، ويذكى عاطفتها ، ويهيج حماستها ، ويدعوها الى الخطة الكريمة ، والسيرة المثلى غير واهن ولا هياب .

ان حافظا أعرب عن آمال مصر وآلامها سنين كثيرة فأحسن الاعراب وبلغ من نفوس سامعيه الغاية ، ثم ترك للاجيال ثروة من التاريخ والحماسة والاخلاق ، ودعوة الى الكرامة والعزة والعمل الدائب والسيرة الصالحة كل أولئك فى شعر رصين ، بليغ ، جدير أن يبقى على مر الزمان يتغنى به النشئ ماتعاقب الملوان .

وهكذا استطعنا أن نبين مالحافظ من شعر كثير يدعو فيه الى البر بالفقراء وانشاء الملاجئ لهم والجمعيات وهذه دعوة تفجر ينابيع الرحمة والاحسان من أشد القلوب قسوة ، كما يدعوالى النهوض بالتعليم وانشاء المعاهد ودور العلم والدرس . وقد تحول فى كل هذا الى مايشبه مصلحا اجتماعيا ، يريد ان يصلح النفوس المريضه من حوله .

وقد بينت وأثبت فى بحثى أن حافظا سابق لشعراء العرب جميعا فى هذا اللون من الشعر الاجتماعى ، فمن قبله لم تعرف العربية شاعرا اجتماعيا من طرازه

حقا نجد عند المتنبى وأبى العلاء بعض أبيات وأشعار تنحو هذا النحو ولكنهما لايقصدان بهما - كما قصد حافظ - الى غاية اجتماعية من اصلاح شعب وتقويمه وتحريك نفسه واثارتها ضد معايبه ومساوئه •

ومن أجل ذلك لقب - غير منازع ولا مدافع - بالشاعر الاجتماعى • لقبا انفرد به من دون شعراء عصره •

وصدق القائل :

" لامدرسة لحافظ سوى المجتمع • ولاكتاب له الا الشعب • ولا معلم له الا الجماهير " • (١)

---

(١) حافظ ابراهيم ماله وما عليه للدكتور محمد كامل جمعه

مراجع البحث

١ ـ سلاح الشعر للدكتور أحمد الشرباصى
٢ ـ شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد
٣ ـ حافظ وشوقى لطه حسين
٤ ـ ديوان حافظ ابراهيم
٥ ـ وطنية شوقى لاحمد الحوفى
٦ ـ فى الأدب الحديث لعمر الدسوقى
٧ ـ الاتجاهات الوطنيه للدكتور محمد حسين
٨ ـ حافظ ابراهيم شاعر النيل عبدالحميد سند الجندى
٩ ـ ديوان اسماعيل صبرى
١٠ ـ شعر حافظ للمازنى
١١ ـ تطور الادب الحديث فى مصر من اوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانيه للدكتور أحمد هيكل
١٢ ـ الأدب المعاصر فى الأدب العربى للدكتور سليمان الأغانى
١٣ ـ شوقى شاعرا لعصر الحديث للدكتور شوقى ضيف
١٤ ـ القوميه العربيه فى الادب الحديث للدكتور محمد زغلول سلام
١٥ ـ العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث من ثورة ١٩١٩ الى ثورة ١٩٥٢ للدكتور سعد الدين محمد الجيزاوى .
١٦ ـ حافظ ابراهيم للمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .
١٧ ـ نظرات فى ادبنا المعاصر للدكتور زكى المحاسنى
١٨ ـ حافظ ابراهيم ما له وما عليه للدكتور محمد كامل جمعه

....

موضوعات البحث :

مقدمة : ص ١ ـ ٢ ، حافظ ابراهيم : حياته ص ٣ ، عوامل التفكير فى عهده : ص ٤ ـ ٥ ، ثورته على الشعر القديم : ص ٦ ، عاطفته : ص ٧ ، الادب والحياة الاجتماعية : ص٨ ـ ٩ .

الباب الاول : الاجتماعيات فى شعر حافظ ابراهيم

الفصل الاول : المشاكل الاجتماعية المنتشرة فى مصر قبل الاحتلال وأثنائه : ص ١٠ ـ ١٨

المرأة فى شعره : ص ١١ ، يحيى المرأة : ص١٢ ، كفاحها : ص١٢ ، عنايته بها : ص١٢ ، السفور والحجاب : ص١٣ ، تعليق على ذلك : ص١٣ ـ ١٤ ، غلاء الاسعار : ص١٤ ، رعاية الاطفال : ص ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ، متصوف فاسق : ص١٦ ، الادباء غير المحقين : ص١٦ ، محاربة البدع : ص١٧ ، المحتالين : ص ١٧ ، الحث على الزكاة : ص١٨ ، محاربة الانحراف : ص١٨ ، دعوة للاحسان : ص١٨ .

الفصل الثانى : المجتمع الكبير فى شعر حافظ ابراهيم

حبه لمصر : ص١٩ ، تقريعة الامة على الاستسلام : ص١٩ ، ترعه العربية : ص٢٠ ، هدايته المصريين : ص ٢٠ ، ثورته على أوضاع البلد : ص٢٠ ، مساندته الامة : ص٢١ ، حادثة دنشواى : ص٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ، دعوة لبناء الكيان المعنوى للقومية العربية : ص ٢٤ ـ ٢٥ ، العيوب الاجتماعية : ص٢٦ ، الاخلاق : ص٢٦ ، الشبان المسلمين : ص٢٦ ، سوء النظافة : ص٢٦ ، أوقات الفراغ : ص٢٧ ، تحريم الخمر : ص ٢٧ ، خير الصنائع : ص ٢٧ ، فى الحث على تعضيد مشروع الجامعة : ص٢٨ ، الفتنة الطائفية بين مسلمى مصر وأقباطها : ص٢٨ ـ ٢٩ ، جمعية اعانة العميان : ص ٣٠ ، الجمعية الخيرية الاسلامية : ص٣٠ ، الى رجال الدنيا الجديدة : ص٣١ ، مدرسة مصطفى كامل : ص ٣١ ، الى ناظر المعارف : ص٣٢ ، تعضيد مشروع الجامعة : ص ٣٢ ، سوريه ومصر : ص٣٣ ، مسائل اجتماعية تتعلق بسياسة البلاد : ص ٣٤

الفصل الثالث : المجتمع الاكبر في شعر حافظ ابراهيم

زلزال مسينا : ص ٣٥ ، حريق ميت غمر : ص ٣٦ ، الى الارض : ص ٣٦

البلب الثانـي : اشارات عامـــــة .

الفصل الاول : الرثاء في شعر حافظ ابراهيم .

الرثاء في شعره : ص ٣٧ ، نقل ارثاء من مساله فردية الى مسألة اجتماعية :
ص ٣٨ ـ ٣٩ .

الفصل الثاني : بين حافظ وآخرين :

بين حافظ وشعراء آخرين : ص ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ، وآخذ على حافظ فـي
المسائل الاجتماعية : ص ٤٣ ، هجوم على حافظ ودفعه : ص ٤٤ .
خاتمة : ص ٤٥ ـ ٤٦
مراجع البحث : ص ٤٧ ـ موضوعات البحث : ص ٤٨ - ٤٩